10me Année No. 477

Lundi - 24 - 8 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الأقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٧٧ « القاهرة في يوم الإثنين ١٢ شعبان سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٤ أغسطس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

صفحة		
٨١٣	أبو سمبل	الأستاذ عباس محمود العقاد
٨١٦	غرام « سعد زغلول » ...	الدكتور زكي مبارك ... ...
٨١٩	من معهد الاسكندرية إلى جامعة فاروق الأول ...	الأستاذ محمد محمد المدني ...
٨٢١	نظام الضرائب في الاسلام وهل روعي فيه الوضوح واللاءمة ؟	الأستاذ علي حسين الوردي
٨٢٥	المساهمة والشركة في مصر	الأستاذ عبد الله حسين ...
٨٢٦	نحن في صراع دائم ...	الأستاذ حسين الظريفي ...
٨٢٧	كتاب « الامتاع والمؤانسة »	الأستاذ محمود البشبيشي . .
٨٢٩	عدنا ... والتقينا [قصيدة]	الأستاذ عباس محمود العقاد
٨٣٠	الأب أنستاس مارى الكرملي في عيد ميلاده	الأستاذ مير بصري ... ...
٨٣١	« سعد زغلول من أقضيته »	الدكتور زكي مبارك ... ..
٨٣١	تصحيح	الأديب علي محمد حسن . .
٨٣٢	في الشعر التمثيلي	الأديب عبد الرحمن عيسى
٨٣٢	من توارد الخواطر	الأديب أحمد بدران ..

أبو سمبل

للأستاذ عباس محمود العقاد

أمسينا في جو مفعم بالزجر والعيافة ، مغلف بالأحاجي والأسرار ؛ يتكلم المتكلم فإذا هو عائف أو زاجر من حيث يريد ولا يريد ، وإذا هو معرض عما بين يديه وتحت عينيه لينظر إلى عالم الغيب ويستعجل العلم بغده المحجوب ، وبالذي يجري في ساعته تلك على مدى الألوف من الأميال

وحق للناظر تلك الليلة أن يعرض عما بين يديه وتحت عينيه ! فما ذا كان في الحق بين يديه وتحت عينيه ؟

منظر واحد يتكرر ثم يتكرر ثم يتكرر في غير تبديل !

هضاب ورمال ، ثم هضاب ورمال ، ثم هضاب ورمال ... ثم نيل ينتظمها ويجري في خلالها ، ليزيد التشابه بينها ولا يزيدها شيئاً من التبديل أو التنويع

فإذا طالت نظرة العين إلى تلك المتشابهات فهي كالعين المنوّمة التي حدجت بالنظر شيئاً واحداً حتى غاب عنها وغابت عنه ، فاستسلمت لما يوحي إليها من الأنباء ، وما يكشف لها من الأسرار

هنالك علمنا منشأ الزجر والعيافة من قديم . فلا يزجر الزاجر ولا يعيف العائف إلا وبه نقص من حظ العيان ، وحاجة إلى العلم بالفهم والسماع

وكنا فى مثل تلك الحاجة ليلة الزجر والعيافة

فتركنا معركة العلمين ناشبة في بدايتها ونحن لا نسمع كثيراً ولا قليلاً عنهـا ، وانقضى الليل وطرف من النهار ولا خبر ولا رواية ، ولا إشاعة كتلك الإشاعات التى يخترعها المرجفون ولها صبغة من الخبر والرواية

وما معركة العلمين فى تلك الليلة وفى كل ليلة تأتى بعدها إلى أقاصى التاريخ ؟

هي معركة سماها القدر ولم يسمها الجيشان ولا صحف الأنباء أو مطلقو الأسماء على معارك القتال

هى معركة علمين اثنين تتلخص فيهما جميع الأعلام التى تظل المتقاتلين اليوم فى كل ميدان

علم الحرية وعلم الطغيان !

علم الدفاع وعلم الفتوح والنارات !

وأى العلمين ارتفع فى تلك المعركة ففيه مصير عالمين وخافقين ومشرقين ، وفيه ابتداء زمان وانتهاء زمان

وتلك تلك المعركة التى انقطعنا عن أخبارها ليلة وطرفاً من نهار . ثم بلغنا الشلال ، فعلمنا أننا سنقضى فى الباخرة نيفاً وأربعين ساعة ، لا نحن بالعالم متصلون ، ولا العالم بنا متصل ، حتى نستأنف الصلة به عند نخوم السودان

نيف وأربعون ساعة بغير أخبار !

وفى الباخرة مع ذلك طائفة من رجال الصحافة ورجال الأعمال تعودوا عشرين سنة على الأقل ألا تنقضى عليهم أربعون دقيقة بغير خبر جديد ، عن أمور بالغ ما بلغ شأنها فهى من سفساف الحديث إلى جانب الحديث عن العلمين

فمن لم يتعلم الزجر والعيافة فى تلك الليالى المحجبات فما هو متعلم ، وقد تعلمناها فأحسنّا العلم بهما من درس واحد لم تسبقه دروس ...

• • •

أقبل الليل فألقت الباخرة مراسيها عند الشاطىء إلى الصباح

وخرجنا من المقاصير نتنسم الهواء جادين ونتنسم الأخبار متفكهين ، وذهب كل منا يسأل صاحبه مازحاً : ما أحدث أنباء المساء ؟ فيجيبه : أى مساء ؟ الجمعة أو الخميس أو الأربعاء ! فكل أخبار هذه الأيام سواء

وإنّا لكذلك إذ انحدر أمامنا مركب سريع موقر بالأبقار السمان ...

فصاح صائح : بشارة خير !

وصاح ثان : نعم ، وأى خير ! فهى أبقار لا تذهب إلى مصر لتموين الأستاذ روميل وأصحابه بطبيعة الحال ! ... ولا تصل إلى القاهرة قبل ثلاثة أيام

وانطلقت الفكاهة والجد أى منطلق فى ذيول هذه العجاوات ؛ فمن قائل : إنها تكلمت وسكت الناس ؛ ومن قائل : إن بقرات يوسف عليه السلام كانت سبعاً وكانت فى المنام ، وهذه سبعون وفوق السبعين نراها في اليقظة رأى العين . فما أحسن البشارة وما أصدق التعبير !

وكان صاحب القدح المعلى فى تلك العيافات والتعبيرات طبيباً لوذعيًّا يسخر من الخرافات

فقلنا : وقد تمت المعجزة بحمد الله ، واصطلح الطب والسحر لحظة فى هذه الليلة بفضل الجهل بالأنباء ... وللجهل فضله الذى لا ينكر فى بعض الأحايين

ثم توالت الأنباء من هذا الطراز : كل مركب منحدر يعبر عن شىء كثير ، بغير سؤال وجواب ، وبغير اعتساف فى التأويل والتعبير

* * *

وأسفرت ليلة الزجر والعيافة عن صباح مشرق كأوضح ما يكون صباح وتشرق شمس فى سماء

ونظرنا ... فماذا رأينا ؟

عجيبة من عجائب التوفيقات : فقد رأينا على الشاطئ قبالتنا هيكل الصباح المشهور بين الهياكل المصرية ، ورأيناه فى اللحظة التى بُنى لها ، وأعدت محاريبه لتلقيها والامتلاء بشعاعها وضيائها : وهى لحظة الشروق

هذه مطالع هاتور

هذه محاريب أبى سمبل ، وهذه تماثيلها الأربعة الفخام لا تسأم النظر إلى الدنيا فى مجلسها ، ولا تسأم الدنيا من النظر إليها

وهذا هو الوادى الذى قدسوه قبل ثلاثة آلاف سنة ، وجعلوه حرماً لربته هاتور ، ولأرباب كثيرين

فهى إذن ظلال الهيكل الساحر التى شملتنا فى جو الزجر

والعيافة منذ ألمنا بواديها ونحن لا ندرى

وهى إذن بقية من كهانات سبقت جميع الكهانات ، وأخذ منها الوادى أو هى قد أخذت من الوادى بنصيب

وكان تمام التوفيق أن نبيت الليل فى جوارها ثم لا نطلع عليها إلا مع طلوع الصباح ، وقد فضت له مغالقها وكشفت له محاريبها ، وعانقته هنيهة عابرة فى لجة من النور

وعبرنا صامتين

وأنصتنا وأطلنا الإنصات ، لأننا نختلس السمع من وراء ثلاثة آلاف عام . وماذا يمنعنا أن ننصت فنسمع ؟ ... ثلاثة آلاف عام لا تنأى بنا عن السمع فى ذلك السكوت

كانوا يقولون فى تلك اللحظة من وراء الجدران الضخام ، ومن وراء جدران أضخم منها وأفخم ، وهى جدران الدهور :

« أتيت أيها البصر الهادى وتمزقت الظلمات ورجعت الأشباح إلى ظلماتها ، واهتزت الأرض بالبشائر ، وافترت الثغور !

« تحيات يا رائد السماء . إنّا لك خاشعون

« وإن الحياة لتبسم بك يا كريم . وإن الماء ليتنفس بك يا واهب الأنفاس ، وإن الزهرة لبك تزهر ، وإن الوردة لبك تعطر ، وإنها لتحيات إليك يا رائد السماء ، وإنّا لك لخاشعون !

« صورت نفسك فأنت مصور ، وكذلك صورت فى ملكك أول نهار ، وخلقت نفس الصباح ، ونفس الإنسان ، وكل ما تماء عالم الإنسان

« حجبت سرك فى النور الأعظم فلا يستشفه بصر مبصر ، وإنا لنحييك يا رائد السماء ، وإنّا لك فى سرك لخاشعون !

« يأيها الوليد القديم لكل نهار جديد ، نستقبلك فنرقص فرحاً فى كرامتك ، ونحنو لك خاشعين ! »

كانوا ينشدون هذا النشيد من وراء الجدران

كانوا ينشدونه بكل لسان ، ويرسلونه إلى كل سمع ، فلا يضيرهم أن يخذلهم لسان واحد فى تلك اللحظة ، وهو اللسان الذى لا يقول بعد الموت ، ولا يخترق حجاب القبور

* * *

إيه أيتها التماثيل الضخام ! فيم تتحدثين فى تلك الجلسة وقد طالت بك آلاف السنين ؟

كم قلت ؟ وكم لم تقولى ؟ ! وكم رأيت وكأنك ما رأيت ؟ وكم غمرتك الرمال وأنت لا تحفلين ، وغمرتك الأنوار وأنت لا تحفلين ، وغمرتك الأنظار المستطلعات وأنت لا تحفلين . . . فيم احتفالك ! وفيم صبرك وانتظارك ؟ وإلام تجلسين ؟ إلام إلام تجلسين ؟ !

قلت لأصحابى : هذه جلسة تاريخية ليس لها قرار ، لأنها كلها قرار !

قال قائل منهم : طوبى لها قرارها ! وطوبى لها هذه الجلسة التى اطمأنت إليها : لا حروب ولا أشجان ، ولا أهواء ولا أضغان ، ولا اكتراث للانسان ولا لعالم الإنسان

قلت : على رسلك يا صاح . . . لو استطاعت أن تبتسم لكلامك لامتلأت أفواهها بالابتسام ، ثم جلجلت بالضحك حتى ارتجت لها الهضاب والآكام

أهذه التماثيل الضخام بمعزل عن الحروب والأشجان ، وعن الأهواء والأضغان ، وعن الاكتراث للانسان وعالم الإنسان ؟

هى حديث حرب ، وهى حديث حب ، وهى حديث شجن ، وهى حديث إنسان يتكلم من وراء الزمن إلى إنسان

وخطوة واحدة وراءها تريك رمسيس فى مركبة الحرب يقلب الصفوف على الصفوف ، ويرسل الحتوف وراء الحتوف ، ويفخر بالنجاة وهو مارق من بين ألوف

وخطوة أخرى وراءها تريك الفاتنة « نفرتارى » وهى كالغصن الريان بهواه وهوى عاشقيه

وخطوة أخرى وراءها تريك المطامع والأهواء ، تلعب بالكهان والرؤساء ، وتزدلف إلى السطوة والثراء ، وتنطق بالهجر والمراء

كلا . يا صاح ! هى الحرب فى هذا المكان والحرب فى كل مكان ، وهى الأهواء الآن والأهواء فى كل آن ، وهى الصخور الصلاب تسكت سكوتها فتسمع منها لجب الفرسان ، ونجوى الحسان ، وسعاية الأقران والأعوان

هى حرب ينبئنا بها حجر ، وحرب ينبئنا بها بقر ، وحرب ينبئنا بها كل قائل وأعجم ، ولا يعوزه ترجمان .

عباس محمود العقاد